# بـريـق

اسم الكتاب: بريـق
اسم الكاتب: د / أحمد سامي عنتر
تصميم الغلاف: محمد مجاهد
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى – 2021 م
رقم الإيداع: 2021 / 2172
الترقيم الدولي: 978 – 977 – 6852 – 29 – 7

arabiclibrary2017@gmail.com
almaktaba79@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017
01030365801 - 01014977934

للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

# بـــريـــــق

مجموعة قصصية

د. أحمد سامي عنتر

للنشر والتوزيع
Arabic Library

## إهـــــــداء

إليكمـــــا

أصحاب الفضل والمنة في كل ما مضى

وكل ما بقى

أبي وأمي

حفظكما الله

# بــريق

وقف أمام المرآة، يلقي نظرة أخيرة على شكله، بدلته الأنيقة، ساعته الرولكس، رابطة عنقه، جاكتة بدلته السينييه.. ونزل مسرعًا.. ركب سيارته المرسيدس آخر موديل وذهب مسرعًا نحو المطار لعقد أهم صفقة ستغير مجرى حياته.

شابٌ في الثمانية والثلاثين من عمره، استطاع تغيير مسار حياته من موظف صغير في أحد البنوك للدخول في عالم البيزنس حتى أصبح أحد كبار رجالات المال والأعمال.

سرح أثناء قيادته في مسيرة حياته القادمة وفي المكاسب الكبيرة التي سوف يحققها من هذه الصفقة الكبيرة، والتي يعتبرها أهم صفقة بالعمر.. لم يعد يشعر بالخوف الذي كان يشعر به من قبل، فقد وصل إلى مكانة أصبح يشعر معها أن كل ما سواه يتضاءل أمامه.. أصبح الناس والأعمال وكل ما حوله صغيرًا بالنسبة له، إلى حد أنه لم يعد يراهم، ولم يعد مهتمًا أيضًا بأن يراهم.. تذكر منافسه وعدوه اللدود وأكبر منافس له على تلك

الصفقة، ولكنه استطاع في النهاية أن يأخذها منه بعد أن قدّم عرضًا أفضل، وها هو متجه إلى أوروبا لتوقيع عقد الصفقة.. تُرى ماذا سيحدث لمنافسه هذا بعد أن يتيقن أن الصفقة ضاعت من يده، وأنه خسر مكانته في السوق، ربما لن يستطيع العيش بعدها.

غاص في تلك الأحلام، ولم يشعر إلا وجسم كبير يرتطم بسيارته بقوة.. أفاق فجأة وقدمه على المكابح ويده على كلاكس السيارة.. نظر فوجد أمامه جمعًا كبيرًا من الناس الغاضبين من قيادته المتهورة، وملقى أمام سيارته على الأرض رجلٌ في الستين من عمره، ترتسم على وجهه علامات الهزال ويطل الموت من عينيه.

نزل من سيارته متأففاً، لا يشغل باله شيء سوى الصفقة التي يمكن أن تضيع.. حاول التملص والهرب، ولكن غضب الناس اضطره أن يأخذ المصاب إلى المستشفى، خاصةً وأن بعض الناس صمموا على الركوب مع الرجل المصاب إلى المستشفى بعد أن رأوا استخفافه بحياته، وخشوا أن يرميه من سيارته ولا يوصله

إلى المستشفى.. في النهاية اضطر إلى أخذه إلى المستشفى ساخطا داعيا عليه بالموت في سره.

أوصل المصاب إلى المستشفى وحاول تركه، لكن عاجله الأمن للتحقيق في الواقعة، فلم يستطع الهروب، فظل متأففا يسب ويلعن هذا الرجل الأحمق شبه الميت الذي أخّره عن صفقته المنشودة.

أُدخِل المصاب إلى غرفة العمليات، وجاءت الممرضة لتخبره بعدم وجود فصيلة دم المريض وهي من فصيلة " أو" سالب، وسيتم البحث عنها في بنك الدم وهذا قد يستغرق بعض الوقت، فقرر رجل الأعمال التبرع بدمه من نفس الفصيلة ليكسب الوقت وينقذ صفقته.. تم أخذ الدم منه وأُرسل إلى المختبر لإجراء الفحوص عليه قبل نقله للمصاب نصف الميت.

استغرق الأمر ساعة قضاها الثري في التأفف واللعن.. وبعد فترة خرجت الممرضة من غرفة الفحص مسرعة، وأخبرت الطبيب بصوت منخفض لا يخلو من توتر زائد بأن نسبة شفاء المريض معدومة؛ فهو يعاني من سرطان الدم في مرحلة متأخرة

وأن حالته جد خطيرة.. أنصت الثري الشاب لكلامها هذا بعناية وبمجرد أن أنهت كلامها انفجر فيها مكررا كلامه عن حياة هذا المصاب عديمة القيمة، وكم تساوي حياته هذه حتى يكون السبب في ضياع مستقبله، وتوعد المستشفى لأنها لم تسرع وأخرته عن صفقته هذه.

نظرت إليه الممرضة بحزن يساوره القلق وقالت بأسى شديد: آسفة، ولكن المريض الذي أتحدث عنه هو أنت...

# ماذا تأكل لو كنتَ مكاني!

شابان أنيقان صعدا إلى القطار المتجه من الصعيد إلى القاهرة في الوقت نفسه، جلس أحدهما في صف اليمين والآخر في اليسار.

هيئتاهما متشابهتان، يبدو عليهما أنهما في سن واحدة تقريباً، وبدلتاهما متشابهتان إلى حد كبير.

شابان أنيقان، ميسورا الحال اضطرا لركوب قطار الدرجة الثالثة بعد أن فاتهما القطار المميز، وقد تعارفا قليلاً في السيارة التي أقلتهما من القرية إلى محطة القطار.

بعد عدة دقائق جاء رجل في الخمسينيات من عمره وبصحبته ابناه اليافعان ومعهم حزمة من القصب وقطع البطاطا الناضجة، بالإضافة لبعض الفول السوداني وقفص طيور، وجلسوا بجوار أحدهما والذي كان يجلس في الصف اليمين من القطار.

ما إن تحرك القطار حتى بدأ الرجل المسن وابناه في تقشير القصب والبطاطا والفول السوداني.. وبدأوا يأكلون بشره محدثين صوتًا عاليًا مثيرًا للأعصاب ومحدثين فوضى كبيرة حولهم، وما إن بدأوا في تقشير زادهم الوفير حتى تطايرت ذرات القصب والفول السوداني على بدلة جارهم في المقعد، والذي شعر بضيقٍ شديد، وخشي على أناقته، خاصةً وأنه على موعد هام في القاهرة.. أراد ترك المقعد والفرار بنفسه من هذا المكان الذي بات يشبه الزريبة.. نظر حوله متفقداً مقاعد العربة بالكامل فلم يجد مقعداً واحداً خالياً.

فكر في القيام والوقوف بعيداً عنهم، ولكن المسافة من الصعيد للقاهرة طويلة جداً، وسوف تتورم قدماه من الوقوف عدة ساعات.. فاستسلم للأمر في النهاية وقرر البقاء في مقعده محاولاً تجاهل تلك الفوضى.

كان الشاب الثاني الجالس على يسارهم يتابع ما يحدث باهتمامٍ شديد، يبدو عليه الضيق الشديد.

ظن ذلك الشاب الذي يبدو عليه وكأنه يعاني من صدمة حضارية من سلوك جيرانه القرويين أن جاره متعاطف معه وخاصةً وأنه أصبحت بينهما سابق معرفة أثناء ذهابهما لمحطة القطار وكذلك لأنهما في نفس السن والمستوى تقريبا... لكنه لاحظ أن جاره ينظر متأففاً ناحيته هو، متجاهلاً ما يحدثه الثلاثة الآخرون من فوضى، وكأنما هو المسئول ما يحدث.

مضت ساعة على هذه الحال، والوضع على ما هو عليه من الفوضى.. ولكن العجيب هو موقف الشاب الآخر الذي لا يكف عن النظر باستياء وضيقٍ إلى جاره المسكين الذي ليس له أي علاقة بكل هذا.

مضت نصف ساعة أخرى والوضع كما هو عليه، فاستاء من نظرات رفيقه الجالس في المقعد الآخر الذي يبدو أنه يحمله مسئولية ما يفعله الآخرون.. فظن أنه ربما يراه سلبياً لم يحاول أن يمنعهم حتى. فسأله بحيرة وتحدٍ قائلاً: ماذا تفعل لو كنتَ مكاني، فرد عليه الآخر: لو كنتُ مكانك لفعلت الكثير والكثير، فباغته متحدياً: إذن فلتأت مكاني.. فوافق الآخر بسرورٍ وتبادلا مكانيهما.

انتقل الشاب الآخر بجانب الأب القروي وأبنائه، وبمجرد أن استقر في مقعده خلع جاكتة بدلته على الفور، وفك رابطة عنقه، ثم شمر قميصه عن ساعديه، وأمسك عود قصب، وكسره نصفين، ثم أمسك قطعتي بطاطا، وأشار ناحية الشاب الآخر وقال له: ماذا تأكل لو كنتَ مكاني! وبدأ في التهام وجبته مثل الآخرين!

# الطريق

شابان في مقتبل حياتيهما، لم يجاوزا الثامنة عشرة من عمريهما، اعتادا منذ بداية لقائهما الأول أن يسيرا وفق هدي قلبيهما الذي لم يخطأ ولو مرة واحدة.. في أول لقاء بينهما نزل الاثنان دون أن يتفقا أي طريقٍ سوف يشهد لقاءهما وصادف أن نسيا من فرط شوقهما كل شيء حتى التليفون الذي يمكن أن يجمع بينهما... وتصادف أن كان هناك طريقان يصلان بين بيتيهما..

وقف كلا العاشقين حائراً أي الطريقين يختار، في النهاية استسلما لوجهة قلبيهما..

مضت في أحد الطريقين يتنازعها الخوف والرجاء.. وقفت وسط الطريق حائرة بين الذهاب والرجوع، لكن قلبها خفق فجأة عندما رأت حبيبها يأتي من الطرف الآخر من الطريق نفسه، خفق قلباهما من السعادة، دمعت عيونهما من الشوق، واطمأنا بعد قلق.. وثقا في قلبيهما فاهتديا بهما وارتشدا.

تكررت اللقاءات بينهما، وفي كل مرة يزداد الشوق وتستعر نيران حبهما أكثر، شبت أعمارهما ولكن كان قلباهما لا يزالان طفلين، لا ينشغلان بغير اللقاء والشوق.

مضت السنوات وشارفا على إنهاء دراستهما، شبت الفتاة رائعة الحسن فائقة الجمال آسرة للعيون، توافد عليها الخطاب فكثر رفضها.. تقدم لخطبتها شابٌ (لقطة) كما وصفته أمها، عريس لا ينقصه شيء (كاملٌ من مجاميعه كما يقولون) شابٌ وسيم، من عائلة كريمة، يعمل في وظيفة محترمة بأحد البنوك، ولديه شقة تمليك في مكانٍ مميز.. رفضته أيضاً فثار غضب أبيها الذي طالما تمالك نفسه طوال المرات السابقة، ولكن العريس هذه المرة لا يمكن رفضه أبداً، وهو أيضاً ابن أعز أصدقائه، ويكاد الأب يكون هو الذي طلبه لابنته تطبيقاً لمثل اخطب لبنتك، وبعد كل هذا يتم رفضه.

تحدثها أمها التي كانت تعرف جيداً مكنون نفس ابنتها، وتطلب منها نسيان حبيبها، تدمع عيناها وتجيب أمها بأنكم من علمتموني حبه وغرستم بمزاحكم بذرة الحب في قلبَي طفلين بريئين.. والآن

تهمون بقطعها بعدما تفرعت بذورها في قلبينا، تترقرق الدموع في عين الأم، تحدثها بضراعة، هي تعلم بمعاناتها وتريد سعادتها، ولكن شجرة الحب التي نبتت في قلبيهما لن تثمر، هي شجرة ميتة لأنها زرعت في غير موعدها، تخبرها بأن شجرتهما لن تثمر، لأنهما لن يقدرا على رعايتها. تُذهل الابنة، تدهس آلة الحياة قلبها الشاب.

يتصل بها حبيبها ليحدد موعداً للقاء، تضرع إليها الأم بعينيها ثم تتركها، يتقابل الحبيبان، تبكي الحبيبة، تحكي لحبيبها، تذبل شجرة الحب في قلبيهما، ينصرفان دون كلام.

يتوقفان عن الحديث معا لعدة أيامٍ، وهو أمر لم يحدث أبداً.. بعد عدة أيام يأتيها صوته في الهاتف سائلاً عن اللقاء القادم، تسأله لأول مرة لما اللقاء؟ يبحث عن ردٍ عن سؤال لم يسمعه من قبل، ثم يؤثر الصمت..

يقررا اللقاء في الميعاد المحدّد، يمضي كل منهما في إحدى الطريقين لكن يتقابلان هذه المرة، فقد تفرق طريقاهما.. يصل كل منهما وحده إلى نهاية طريقه، يشعران بالهوان، ينتظر كل منهما على

أمل اللقاء، تلمع عيونهما فجأة، ويخطر في بال كليهما أنه لربما سلك حبيبه الطريق الآخر، يبحث كل منهما عن الآخر في طريقين لا يلتقيان. تنتهي طرقهما، يقف كل منهما حزيناً على رأس طريقه متسائلاً عن شجرة الحب التي نمت في قلبيهما كل هذه السنين، لماذا أصابها الذبول في ريعان الصبا، لم يعرفا أن الطريق كانت محتومة النهاية وأن هذه الشجرة الغضة قد غرست في مهب الريح، ولم يشتد عودها بعد حتى تقوى على المقاومة، لم يدركا أن بذرة الحب التي زرعها الآباء كانت نبتاً غير شرعي سقطت بذرته في غير وقتها وفي غير مكانها، بذرة ضعيفة ألقاها أهلها ولم يعلموا أنها ستكتب لها الحياة، لذا لم يكلفوا أنفسهم عناء سقياها، انتهى الطريق.... انتهى الحب ....غابت الشمس .... و حل الصقيع...

كانت دموعهما ساخنة .....مشاعرهما باردة من الفراق...

يتساءلان من بدأ بالخيانة

من جعل الورده الحمراء تذبل وتصفر... لم يدركا الجواب حينها .... و لم يدركا أنه كان موسم الصقيع.... موسم الشتاء..

# شيء قد كسر

كانت قد أوشكت على غلق حسابها والخروج من الفيسبوك، لولا أن جاءتها هذه الرسالة "محمد مهندس من القاهرة".. ترددت في الرد عليها بعدما قضت ساعتين في تلقي عروض التعارف التي لم تخلُ جميعها من تلميحات وتصريحات مصحوبة بتجاوزات مكتوبة ومصوّرة.. حتى لم تعد تحتمل البقاء، فقررت إنهاء هذه التجربة إلى غير رجعة.

منعها الفضول من الخروج قبل اكتشاف هذا الأخير علّه يكون مسك الختام كما يقولون ويعوضها عن ساعات الملل التي قضتها هذه.. طاف بخيالها أنه ربما القدر هو من ساق هذه الرسالة قبيل لحظات من خروجها.. أجابت قائلة "هاجر، بكالوريوس إدارة أعمال من القاهرة".. سألته على الفور عن سنه "فأجاب: 33 عاماً".. شعرت بارتياح لكونه يكبرها بأعوام ليست بالكثيرة فهي في السابعة والعشرين.

بدأ بينهما حوار عادي أشبه باستهارة تعارف تحدثا فيه عن حياتيهما اليومية، ثم استغرقا في الحديث حتى انتبها أنهما يتحدثان منذ ساعتين وأن الساعة تدق الثانية صباحاً فتبادلا السلام وتفارقا ومازال لديهما كثير لم يُقل.. التقيا في اليوم التالي وتحدثا أكثر وشعرا بطمأنينة متبادلة، فاستراح كلاهما للآخر وحكيا عن حياتيهما... قالا الكثير ولكن مازال الكثير لم يُقل، ودّعا بعضهما وفي بالهما معاد غير معلن.

تكررت أحاديثهما.. عرفت أنه يعمل مهندسًا في شركة أبيه للمقاولات، ينهي عمله في الخامسة مساءً.. فأصبحت شمس يومها تشرق في الخامسة، تستيقظ لتظل عينها معلقة بعقارب الساعة منتظرة أن تعلن تمام الخامسة.. طالت ساعات الانتظار بينهما حتى أصبحت وكأنها أعوام، وقصرت ساعات اللقاء فأصبحت دقائق، وبين هذا وذاك تُبقي عينيها على الساعة تتعجل ميعاد اللُقى وتستأخر ميعاد الفراق.. كثيراً ما كانت تتفقد بطارية ساعتها ظناً منها أنها توقفت.. أحياناً كانت تشعر أن ساعتها

أصبحت تسير بشكلٍ أبطأ وأن ذلك ربما بسبب أن بطاريتها لم تتغير منذ فترة.

اطمأنت إليه وأحست بصدقه فصَدَقته حديثها.. حكت له عن وحدتها بعد موت أبيها وزواج أختيها ومرض أمها.. طلب أن يهاتفها فصارحته بتوقها لذلك.. امتدت بينهما الأحاديث ساعات طوالًا لأيامٍ عديدة وفي كل مرة مازال الكثير لم يُقل.

تهاتفا.. امتد حديثهما ساعات وساعات.. سقى بذور الحب في قلبيهما فاستشعراه واستعذبا وجده.. أضناهما الكتمان فباح لها بحب بادلته أكثر منه.. انهار سد عواطفهما فحدّثته بأنه الضوء الذي أضاء سماء حياتها المظلمة فتعلق به عينها وقلبها، وحدّثها بأن عذوبتها طغت على بحر حياته المتلاطم.

توافقا على اللقى.. صارحته بخوفها أن يبعدهما اللُقى فللناس فيما يعشقون مذاهب.. طمأنها أنها قد سكنت قلبه وأن مذهبه هو عشق الروح، فسكنت روحها.

ذهبت للقائه في الميعاد المحدد.. كانت تتوقع أن يكون بانتظارها ليجنبها ما شعرت به من حرج.. وقفت لدقائق يدفعها

الحرج أن تذهب ويتشبث قلبها باللقاء، تشعر بالعيون كلها ترقبها وكأنهم يعرفون بأمر اللقاء، استغاثت بهاتفه وعاتبته بصوت خفيض.

نهض الحبيب الذي كان ينتظر في أحد المقاعد.. اعتذر لتأخره في القيام لأنه لم يكن يعرفها حتى اتصلت به.. سلم عليها ممسكاً بيدها إلى الطاولة التي كان جالساً عليها من قبل، نظرت بعينين واجدتين إلى أمير أحلامها الذي نفذت كلماته إلى قلبها فأحيته وضخت دماء السعادة في عروقها، إلى من طالت ساعات يومها في غيابه وقصرته في لقائه.

توقفت فجأة، وتسربت دماء السعادة من عروقها ليحل مكانها المرارة والأسى.. لم تلحظ من البداية أنه يرتدي ثياباً غير التي اتفقا عليها، أرادت أن تسأله، لكنها أدركت أنه جاء قبلها كي يقوم بمعاينتها، فإن راقته كشف لها عن وجوده وإلا مضى إلى غير عودة.. شعرت بالمرارة.. ماذا لو لم أنل إعجابك، أكنت لتذهب دون مواساة لذلك القلب الذي حلم بلقائك، أكنت لتؤذي هذا القلب الذي أراد لك الخير، أكنت لتعاقبني أن لم يخلقني الله بشكل

يرضيك.. أكنت لتذهب دون أن تكلف نفسك أن تجبر خاطر هذه المحبة الملتاعة، أو كنت لتصرخ في وجهي نافراً من قبحي، هل كنت سترد على اتصالي لتخبرني بأني لم أنل رضاك أم كنت ستفضل الانسحاب دون أن تخبرني حتى.. قدمت لك قلبي مغلفاً في علبة هدايا، لكنك انشغلت عن الهدية بعلبتها، فماذا لو لم تعجبك العلبة.. لا أعيب عليك مذهبك فللناس فيما يعشقون مذاهب، ولكنك من بادرتني الحب وحدثتني عن دروشتك بعشق الروح، لم تخبرني بمذهبك الحقيقي، حقاً إن مذاهبنا لمختلفة.. أرى الآن حبك الصادق في عينيك، ولكني أستشعر أيضاً قسوتك إن لم أعجبك.

عاتبته بعينين واجدتين وقلب عليل، خجلت عيناه، ترى حبها في عينيه الآن لكنه حبه سقيم، حب قد وقف على باب القلب ينتظر إذن العين.. قامت لتمشي، تضرع لها معتذراً، **لكن أحست أن شيئاً قد كُسر...**

# حنين

رن جرس المحمول في الساعة السابعة صباحاً، لم يعتد أن يستيقظ أو أن يتلقى اتصالات في مثل هذه الساعة المبكرة... لذا شعر بقلقٍ شديد عند سماعه جرس الهاتف في هذا الوقت، رد، فجاءه الصوت من الناحية الأخرى يخبره بأن عمه توفى في مسقط رأس العائلة بإحدى قرى الريف، وأنه سيدفن اليوم بعد صلاة الظهر. أغلق الهاتف.. اتصل بأبيه وأخبره برفقٍ بذلك الخبر، لم يشعر بقلقٍ شديد وهو يخبر أباه بموت عمه، لأنه يعلم أن الود بينهما ليس على ما يرام منذ سنوات عديدة، وأنهما لم يكونا يلتقيان إلا عندما يذهب أبوه إلى مسقط رأسه بالريف لزيارة أنسبائه، ومن ثم كان يذهب وقتها لرؤية أخيه، وكان لقاؤهما غالباً فاتراً، حتى أن من يراهما يجلسان معاً دونما كلام يشعر وكأنهما غريبان لا يعرفان بعضهما..

أغلق الهاتف مع أبيه.. اتصل بأبناء عمه وأخبرهم بموت عمهم، فلم يحزنوا كثيراً هم أيضاً، ولكنهم أخبروه بأنهم سيلحقون به إلى الجنازة..

أفاق من نومه.. وقف أمام المرآة يرتدي ثيابه الأنيقة، فهو يعرف أنه سوف يرى الكثير من أقارب أبيه، الذين لم يرهم من قبل، ولن يراهم بعد ذلك إلا عند موت أحدٍ آخر من أقاربه الذين يعرفهم، وهو لا يعرف إلا أعمامه الذين لم يبقَ منهم إلا عمته...

نزل، والتقى أباه، وذهبا معاً إلى منزل المتوفى.

استغرق الطريق بعض الوقت، فوصلا بعد تغسيل الميت، وذهبا إلى المسجد حيث يُصلى عليه.. وقف مع أبيه يستقبلان الأقارب والمعزين.. توافد عليهم أقارب كثيرون لا يعرفهم.. وقف بجوار أبيه مستطلعاً، وكلما جاء أحد الأقارب عرّفه أبوه بهم وعرّفهم به قائلاً: هذا ابن عمي، وهذا ابن عمتي، ذاك ابن ابن عمي، وذاك ابن بنت عمتي، وأولئك أولاد خالتي.. وجوه كثيرة لم يرها من قبل، ووجوه يشعر أنه يعرفها، فقد رآهم من قبل في جنازة عمه الآخر الذي توفى منذ خمسة أعوام.

وقف شاعراً بالغربة بين أهله حتى نودي لصلاة الجنازة.. فوقف في الصفوف الخلفية، ووقف للإمامة أحد أقارب الميت من بعيد.. صلوا على الميت وذهبوا به إلى مثواه الأخير، ثم عادوا إلى مندرة العائلة، حيث يتم تلقي العزاء.

قابل ابنَي عمه اللذين لم يقابلهما منذ وفاة أبيهما، بالرغم من أن المسافة بين سكنهم لا تتعدى بضعة كيلو مترات، سلموا على بعضهم بفتور، ثم جلس وحيداً بين المعزين، ولم يقف ليأخذ عزاء عمه هو أو أبناء عمه الآخرون، بالرغم من أن عمه لم ينجب.

جلس وحيداً.. يبتسم ملاطفاً عندما يلوح إليه أحد المعزين، ثم يتذكر أنه في جنازة وليس من المقبول الابتسامة خاصة أنه من أقارب الميت، فيحاول مزج ابتسامته بشئ من الحزن..

يحاول البكاء على عمه المتوفى فلا يستطيع، يبحث في ذاكرته عن شيء يرقق قلبه ويجعل عينيه تذرفان الدموع على شخص من المفترض أن يكون أقرب الناس له بعد أبيه، لكن لا يجد شيئاً، يفاجأ بأنه لم يقابل عمه هذا طوال عمره البالغ بضعة وثلاثين عاماً سوى بضع مرات محدودة في معظمها جاءت

بالصدفة في عزاء بعض الأقارب، وتذكر أن لقاءه بعمه كان فاتراً خلا من أي ود، وأنه كان يسلم عليه كالغرباء، ولم يشعر تجاهه بأي عاطفة.. تذكر يوم أن قابل عمه يوم أن جاء يعزي في وفاة جده لأمه، وكيف كان لقاؤهما فاتراً، حتى أن العم لم يدعه ليزوره في بيته.. لم يجد شيئاً يبكيه لأجله..

شعر بالضيق وهمّ لينصرف دون أن ينبس ببنت شفة، ودون أن يلتفت له الكثيرون.. ذهب وحيداً بائساً، وهو يشعر بقسوة قلبه لأنه لم يستطع البكاء لأجل عمه الميت. لكنه بكى فجأة وأجهش في البكاء عندما تذكر يوم وفاة جده لأمه الذي لم ينسه أبداً لأنه طالما راعاه وأحبه!

# أنا حرة

جلس الأستاذ الجامعي الشاب القادم حديثاً من أوروبا بين أصدقائه ورفاقه في الحفل الصغير الذي أعدوه له في المكان الذي اعتادوا الجلوس فيه في أحد المقاهي العتيقة بمحافظة القاهرة، احتفالاً بعودة صديقهم بعد حصوله على الدكتوراه من إحدى الجامعات الأوروبية الشهيرة.. جلس يحدّثهم عن عظمة الأوروبيين في كل شيء.. أما هم فقد كانوا مزهوين بطريقة كلامه وفكره الذي تغير تماماً.. ولكن جل ما كان يدهشهم هو مظهره الذي تغير تماماً عن ذي قبل، فقد كان من قبل طالباً ريفياً التحق بجامعة عين شمس من إحدى القرى الريفية، وسكن بالمدينة الجامعية حتى حصوله على الماجستير، ثم سافر إلى أوروبا لأجل الدكتوراه، أما الآن فقد تغير فيه كل شيء؛ تسريحة شعره، أزرار قميصه المفتوحة، بنطاله الذي قصُر إلى شورت قصير، ناهيك عن بعض الوشم الخفيف على ذراعه اليمنى.

جلس يحدّثهم عن عظمة بلده المنشود.. وكان قد تماهى مع ذلك البلد حتى أنه كان يتحدث عنه بوصفه بلده.. جلس رفاقه يستمعون باهتمام وشغف لذلك الفكر الواثق المتحرر المتحدث باسم الغرب المتطور، أما من ظل بين جنبات كليتهم العتيقة فلم يستطيعوا مجابهة هذا المنطق الأجنبي.

تحدث أحد رفاقه على استحياء سائلاً إياه عما إذا كان سيبقي على مظهره هذا أثناء ذهابه للعمل كأستاذٍ جامعي؛ فأجابه بكل ثقة وهدوء لا يخلو من تحدٍ بأنه لن يغير أي شيء، لأن هذا مظهره وحياته، وهو حر يفعل ما يشاء، وذكر له أن العديد من الأساتذة في أوروبا كانوا يدخلون المحاضرات بشورت وبالملابس التي يريدون، وهم ليسوا مقيدين بثياب معينة للدراسة. رد صديقه: لكن هذا غير مناسب لأعرافنا وتقاليدنا، فأجابه الشاب المتأنق بأن هذه الأعراف والتقاليد وضعها أناسٌ آخرون، وأنه غير مُلزم بقبول أي أعراف وتقاليد لا يقبلها، وهو من يحدد عادات وتقاليد نفسه وليس المجتمع.. أجاب صديقه بأن لكل مجتمع أعرافه وتقاليده التي اتُفق عليها ولابد من الالتزام بها؛ لأنها

الضمانة لاحترام بعضنا البعض ولو أن كل شخصٍ ضرب بما لا يريد عرض الحائط لتحولنا إلى قطعانٍ ضالة يفعل كل واحد منها ما يشاء دون مراعاة لأثر فعله على غيره، فاستنكر الأستاذ المستغرب أفكار صديقه البالية وشجعه على ذلك مجاراة رفاقه الآخرين، فحاول صديقه يائساً التذرع بإمكانية تعرضه للمشاكل في عمله لأن الجامعة سترفض هذا المظهر، فرد بأنه مستعد لأي مشكلات ومتحمل مسئولية تصرفاته، ولا يوجد ما يلزمه باتباع مظهر معين. صمت صديقه الناصح، أما هو فقد أحس بزهوة الانتصار وشجعه هذا على نشر نظريته الدارونية.

في الأسبوع التالي تسلم الأستاذ عمله الأكاديمي بالجامعة، وبدأ أولى محاضراته، ثم لاحظ أثناء محاضرته نظرات الطلاب المتسائلة، المستنكرة، المندهشة، المعجبة بمظهره الغريب، فأحس بأنه على وشك بدء معركة أخرى كالتي بدأها مع صديقه على المقهى.. بادرهم السؤال عن آرائهم في مظهره الغريب هذا، ثم عاجلهم مكرراً حديثه السابق عن الحرية وعن عدم إيمانه بالعادات والتقاليد وأنها مجرد مبادئ وضعها بعض الناس

المتزمتين وألزموا بها الجميع، ولكن ليس هناك ما يُلزمه باتباعها طالما لم يؤخذ رأيه فيها، وأنه حر يقبل ويرفض ما يشاء. واستغرق في عرض نظريته عن التطور، وبدأ يشعر بتأثيره على الطلاب، فزاد إحساسه بالزهو.. وأخذ يحدّثهم عن طباع الطلاب والمحاضرين في أوروبا.. ولماذا لا نكون مثلهم..

جاء الأسبوع التالي بالمحاضرة التالية، ودخل الدكتور إلى قاعة محاضرته، ووقف يستطلع طلابه، ليرى تأثير فكره عليهم، رأى أن الكثيرين منهم- كما يبدو من هيئتهم- قد رفضوا نظريته عن التطور، فلم يغيروا أي شيء في مظهرهم، وظلوا متمسكين بمظهرهم التقليدي، ثم بدأ يشعر بانفراجة بعدما أحس ببعض التغيير البسيط على بعض الطلاب والطالبات الذين بدا على مظهرهم بعض التغييرات.

مرت بضع دقائق ثم دخل اثنان من الطلاب لهما مظهرٌ غريب، فقد جلس الصبي وعلى يديه وشوم تغطي كلتا يديه، يرتدي شورت قُطع أكثر مما وُصل، وأزار قميصه مفتوحة حتى ما فوق سرته، أما الفتاة فقد ارتدت جيبة قصيرة للغاية تماثل في طولها

ما لبسته فوقها، ناهيك عن كثير الألوان على وجهها، وجلس الاثنان بعيونٍ حمراء تنم عن سهرٍ حتى الصباح، وقد وضعا قدماً فوق الأخرى. تعجب الأستاذ من هذا المظهر المتكلف وغير المناسب في نظره، وحاول أن يتجاهل ذلك، ولكن عندما وقعت عينه مرة أخرى على الفتاة وعلى نظرتها المتحدية، لم يتمالك نفسه، وسألهما مستنكراً عن مظهرهما هذا، فصمت الشاب متفادياً صداماً محتملاً، أما الفتاة، فسألت الأستاذ عن سبب غضبه من مظهرها، فأجاب بأنه متكلف وغير مناسب، فردت ومن يحكم أنه مناسب أم لا؟ صُدم من هذا الرد المفاجئ، وأجاب بأنه لا يوافق على هذا المظهر لأنه من غير المناسب ارتداؤه في الجامعة، فأجابته بأن هذه أعراف بالية قررها أناسٌ بمفردهم ووافق عليها الآخرون، أما أنا فلم يؤخذ رأيي فيها ولم أوافق عليها، ولهذا لن أفعل ما قرره غيري. ثم فاجأته قائلة: أنت أستاذي، وأنت من علمني أنك حرٌ، وأنا حرة!

# فستانٌ جديد

تقف أمام الدولاب، تقلب فساتينها يميناً ويساراً.. لا تجد ما تلبسه.. تقلب الفستان الأحمر المنقوط، الأخضر المطرز، الأبيض المنقوش، تقلب كل فساتينها ولا يعجبها منها شيء.. تنظر في تأفف إلى البنطلونات والبلوزة التي تملأ دولابها ولا تختار شيئاً منها.. تنادي أمها في ضيق، فتأتي الأم مسرعة قلقة.. تخبرها ابنتها أن ملابسها لم تعد تناسبها، فقد اشترتها منذ سنوات عديدة، وهي تحتاج الآن إلى ملابس جديدة.. تجيبها أمها بأنها تشتري ملابس جديدة كل عدة أشهر وأن ملابسها هذه لم يمضِ عليها سوى عام أو عامين على الأكثر، فقد اشترت أول تلك الملابس في أولى سنواتها الجامعة، وهي الآن لم تنته من السنة الرابعة.. ترد ابنتها بأنها يجب أن تلبس مثل زميلاتها في الجامعة.. تمسك أمها بالفستان الأحمر لتحاول إقناعها به، فلا يعجبها فتخرج الأبيض ثم الأسود حتى تملأ السرير بملابس ابنتها التي ترفض أن تلبسها جميعاً.. تصمت الأم، فهي تعرف عادة ابنتها كلما أرادت شراء فستانٍ

جديد.. ففي كل مرة تريد شراء ملابس جديدة تفعل هذا وتُشعر أمها أنها أقل من زميلاتها، لأنها تعرف أن قلب أمها لن يحملها على رؤية حزن ابنتها.. تمسك بالفستان الذي أخرجته أمها وتخبرها أنها ذهبت به أكثر من عشرين مرة.

تخبر البنت أمها أنها رأت فستاناً لم ترَ مثله من قبل ولن ترى مثله أبداً وتريد شراءه قبل أن يكتنزه أحدٌ غيرها.. تفتح الأم كيس نقودها لتحسب ثمن الفستان، ثم تغلق الكيس وتطلب من ابنتها الانتظار حتى نهاية الشهر.. تشعر البنت بالعجز أمام قوة المال، فتصمت وترتدي ثيابها.

تخرج الأم أول الشهر من المصنع الذي تعمل فيه لتجد ابنتها تنتظرها بالخارج لتطلب منها ثمن الفستان.. تحتار الأم لأن ثمن الفستان سوف يؤثر على مصروف الشهر القادم.. ولكنها تعطي ابنتها وهي راضية ثمن الفستان الذي لم يُصنع مثله حسبما تقول ابنتها..

تشتري البنت الفستان ومن فرط فرحتها به تعود للمنزل وهي ترتديه.. تحتضن أمها وتدور معها وهي سعيدة.. وتسألها عن

رأيها.. تنظر الأم فتجد أنه لا يختلف كثيراً عن بعض فساتين ابنتها، بل وترى أن بعض فساتين ابنتها تعجبها أكثر من هذا الفستان الجديد، ولكن لن تقول لابنتها هذا حتى لا تكسر فرحتها بفستانها الجديد هذا، فتجيبها بفرح لا يخلو من حزن "مبروك عليكي يا بنتي".. تخلع البنت الفستان بحرص شديد وتخلي الشماعة لتعلقه وحده..

ترتدي الفتاة الفستان في اليوم التالي وتخرج به، لا يشغلها إلا الحفاظ على كنزها الأنيق هذا، تحرص أشد الحرص على ألا يتسخ وأن تحافظ عليه كأنه طفلها.. في اليوم الثاني تفعل البنت الشيء نفسه وهي ترتدي الفستان...

تتوالى الأيام يومٌ بعد الآخر وأسبوع بعد الآخر حتى تستحيل إلى شهور.. تقف البنت أمام دولاب ملابسها المفتوح تنحّي الفستان الذي كان جديداً مع الملابس الأخرى يميناً ويساراً وكأنه لم يعد كنزها الذي كانت تحلم بشرائه في يومٍ ما.. تنادي أمها بضيق قائلة "أمي لا يوجد لدي أي شيء أرتديه"!

# نـوفـا

كان في الحقيقة كازانوفا، فهو الاسم الذي لطالما أحبه وأشعره بأنه مثل ذكر الظبي الذي يحوم حول الإناث في موسم التزاوج.. أُطلق عليه هذ الاسم بالصدفة، فعندما كان يقف مع إحدى الفتيات مرت بجانبه امرأة عجوز وقالت له "وسّع كده يا كازانوفا"، فاتسعت مقلتا عينيه عندما سمع هذا الاسم، ورأى أنه أفضل من اسمه الحقيقي "كاظم".

"كاظم"؛ كانت أمه هي التي أصرت على تسميته بهذا الاسم حتى تعوِّض إحساساً بالنقص لديها ولتقنع نفسها بأنهم أصبحوا من علية القوم.. أمه نبوية هانم العايقة، ابنة الباشمهندس الأسطى فولي..

الباشمهندس الأسطى فولي هو أحد مُحدثي الثراء، كانت صنعته في الأساس سباكاً، ثم استطاع بعد سنين من العمل أن يفتح لنفسه معرضاً للأدوات الصحية، ثم أصبح المعرض أكبر ثم أصبح المعرض مجموعة من المعارض في أماكن مختلفة..

أصبح فولي يشعر أن لقب أسطى (معدش يليق بالأبهة الجديدة دي) كما كان يقول هو، وأصبح يغضب عندما يناديه أحد بالأسطى ويطلب أن ينادوه بالباشمهندس.. كان الناس في حيرة من هذا الأمر.. فهم يعرفون أصله جيداً ويعرفون أنه كان سباكاً (على أده)، كما أن هيئته لن تجعلك ترضى عن نفسك إذا طاوعته ووافقت على منحه بكالوريوس الهندسة لمجرد أنه فتح معرضاً للأدوات الصحية، أما هو فقد كان مقتنعاً جداً أنه أصبح جديراً بلقب المهندس هذا، وكان يرى أن ليس هناك فرق بينه وبين الباشمهندس فكلٌ منهما يشتغل في التركيب والتصليح..

كان الأسطى الباشمهندس فولي قد (استقضى) لنفسه مجموعة من البدل الغالية الثمن- الرخيصة الذوق، التي عندما تراه يرتديها تشعر وكأنك ترى الفنان القدير محمد رضا وهو يحاول تمثيل أحد أدوار (أولاد الذوات).. ولكن حاول الناس أن يجاروه ليجاملوه تارة وليتفادوا غضبه تارةً أخرى.. وذات مرة تلعثم أحد الأسطوات عندما كان متحيراً هل يناديه باشمهندس أم أسطى فقرر أن يمسك العصا من النصف وناده يا بشمهندس أسطى

فولي.. ومن ثم ارتضى الناس هذا اللقب إرضاءً للباشمهندس ولضمائرهم معاً.

شاء القدر للمعلم فولي أن ينجب فتاة واحدة؛ هي نبوية أم الكازانوفا.. والتي شعرت فجأة بتغير حياتهم وأرادت أن تساير هذا التغير.. ففرضت على كل من يعرفها أن يناديها نانا هانم بعد أن كان لقبها الست نبوية، ولكن الناس استكثروا اسم نانا عليها فظلوا ينادونها بنبوية هانم، ولما كانت تتعايق في ملابسها ومكياجها فقد لقبوها نبوية هانم العايقة.

أحب كازانوفا لقبه هذا جداً، ورأى أنه يصلح (كدلع) لاسمه البائس كاظم.. حتى أنه أراد أن يجعله اسمه الرسمي.. لكن منعه أبوه الأستاذ مصطفى أفندي علي..

أبوه مصطفى أفندي علي كان شاباً من أسرة عريقة جار عليها الزمن.. رأته العايقة في شبابيها فأرادت أن تتزوج بهذا الشاب (ابن الناس) لتؤصل عائلتها.. فشاغلته حتى أوقعته في غرامها.. فهام بها حباً.

مصطفى أفندي الذي تراه الآن يبدو هرِماً تظهر في وجهه تجاعيد الزمان وقسوته.. ويرتدي بدلة مهلهلة لا تختلف عن الحقيبة التي ترافقها دائماً.. عندما تراه وهو عائد على هذه الحالة الرثة لا يمكن أن تقتنع أنه زوج الهانم العايقة.. ولن تتخيل أبداً أنه كان شاباً أنيقاً ينبض بالشباب والحيوية.

سايرته زوجته العايقة حتى تمكن منها حبه وتزوجا.. ثم أثقلته بطلباتها التي لا تنتهي.. فكانت تتعمد إنفاق مرتبه قبل منتصف الشهر.. ثم تخبره أنها سوف تنفق من أموال أبيها على البيت لأنه لا يستطيع تلبية مطالب بيته.. فتصاغر هو أمام عِظم مطالبها.. وتعاظمت هي عليه بأموال أبيها.. فعاش معها مقهوراً.

أما الكازانوفا فكان مثل أمه.. أخذ من جمالها ومن أصل أبيه الرفيع.. شاباً وسيماً في العشرينيات من عمره.. شغله الشاغل التعرف بالفتيات وقضاء أوقات معهن.. شجعته على هذا أمه العايقة التي كانت تراه دائماً (عريس لقطة البنات هتموت بعض عليه).

دأب هذا المحروس الصغير على مطاردة البنات حتي يتمكن من الإيقاع بهن.. والحقيقة أنه لم يكن يحتاج كثيراً من المجهود في ذلك.. فقد كان يوقع بهن إما لشكله الوسيم أو لأموال أمه الكثيرة.

كان قد تعرف مؤخراً بفتاة تدعى نفيسة.. تسكن معه في الشارع نفسه.. وهي ابنة الجزار المعلم صميدة عبد الأحد..

المعلم صميدة الشهير بالمعلم عجلان بفتح السين وبضمها أيضاً.. جزار أباً عن جد.. ذو نسبٍ عريق في الجزارة.. عندما تراه تشعر أنه تشابه بحكم العِشرة مع ذبائحه، فهو طويل القامة، عريض المنكبين، سواده كليل بلا قمر، وملامح وجهه ولُغده الكبير يشجع على ذبحه في أحد العيدين. أما زوجته فكانت امرأة أصيلة، صابرة على استعجال زوجها الذي كانت الظروف قد أجبرتها على الزواج منه بعد وفاة أبيها وعدم وجود دَخل للإنفاق على أخواتها اليتيمات.. فرضيت بهذا الوحش واستسلمت لنصيبها.

أخذت نفيسة خصال أمها الطيبة وبراءتها؛ ملامحها الصغيرة وقلبها الكبير.. ولكن كان ينغص عليها حياتها إلى جانب أبيها أمرٌ آخر؛ اسمها "نفيسة".. كان أبوها قد أصر على تسميتها على اسم أمه.. رغم رفض الجميع حوله لأنه اسم قديم ولن يناسبها، لكنه استعجل كعادته.. كانت تشعر أن هذا الاسم يقف عائقًا أمامها، وكانت كل مأساتها تتلخص في اسم "نفيسة صميدة عبد الأحد"..

كانت تعرف الكازانوفا بحكم أنهما جيران في الشارع نفسه، وكانت تصادفه في الذهاب والمجيء، حتى رآها هو ذات مرة فأثارت إعجابه وقرر أن تكون فتاته الجديدة.

سنحت له الفرصة سريعاً وساعدته الظروف.. فقد رآها في إحدى المرات تنتظر سيارة الأجرة، فعرض عليها أن يوصلها بسيارته، لكنها رفضت، فألح عليها، لكنها أصرت على الرفض، فما كان منه إلا أن نزل من سيارته وركب معها.. وقد نجحت حيلته فاستطاع أن يشغلها بسهولة.. فقد رأت فيه نموذجًا طالما

افتقدته في أبيه المعلم عجلان.. فهو شابٌ أنيق ذو ملامح وسيمة ولسانٍ معسول.. ومن ثم تعلقت به.

تيقن الكازانوفا من حب نفيسة له.. فأراد كعادته أن يختبر مدى استعدادها قبل أن يدعوها إلى شقته الخاصة.. فواعدها في مكانٍ قليل المرور حيث اعتاد تهيئة فتياته قبل دعوتهن إلى شقته الخاصة.. وقفا معا وأخذ يلاطفها.. أمسك بيدها فاستسلمت للمسة يده.. رفع يدها وقبلها وهو يقسم أن يظلا معاً ولا يفترقا أبداً.. كان أداؤه بارعاً وكافياً لأن تصدقه هذه الفتاة الساذجة خاصة عندما أقسم أنه لن تستطيع أي قوة أن تفرق بينهما.. أغمضت عينيها.. أحست بطقرات ماء تبلل يديها فأدركت أنها دموعه.. عرفت أن هذه الدموع دليل حبه الصادق ومشاعره الطيبة لولا أن سمعت آهته.. فتحت عينيها فإذا بأبيها عجلان يقف خلف الكازانوفا ومطرقة يد أبيها تطحن سندان قفا الحبيب، الذي لم يستطع الوقوف فأطلق لنفسه العنان وفر هارباً من براثن عجلان.. كانت الصدفة هي ما ساق الأب ليضع نهاية الكازانوفا،

فقد كان الأب هو الآخر معتاداً أن يأتي إلى هذا المكان النائي خلسة ليشرب سيجارته المحشوة وحيداً بعيداً عن زحمة الناس والمحل..

تجمع الناس يرقبون ما يحدث.. انهال المعلم عجلان بالسباب والتهديد على هذا الحبيب الذي يهرب، ومن فرط غضبه وعصبيته بدلاً من أن ينطق كازانوفا تلعثم أمام الحاضرين جميعاً قائلا "والله لأعلقك على باب المحل يانوفا".. اندهش الجميع من هذا اللقب الجديد.. ومنذ ذلك اليوم تحول لقبه من كازانوفا إلى ذلك اللقب الذي رافقه باقي سنين عمره ونغصها عليه ودفعه للانعزال بعيداً عن سخرية الناس ومعايرتهم.... المسكين... نوفا...

# العبيط

يُحكى أنه كان هناك شابٌ في إحدى القرى قارب الأربعين من عمره ولم يستطع الزواج حتى ذلك الحين.. وإن هذا لأمر لدى أهل القرية عجيب!!!

شابٌ اسمه عبد الله، تراه يعجبك جسمه وإن يقول تسمع لقوله.. قارب الأربعين ولم يرض أحد من قريته أو القرى المجاورة أن يزوجه ابنته!!!

كان هذا الشاب قد ورث عن أبيه ميراثاً ثقيلاً كان السبب في رفض الجميع تزويجه.. كان أبو الشاب رجلاً عاقلاً ذكياً، لكن أصابه مرضٌ في أواخر حياته جعله يمشي في القرية وهو يقدم على تصرفات جنونية، فيضحك ودموعه تنزل، يبكي وهو يصفق، يبكي تارة ويضحك تارة... وكعادة أطفال القرى المصرية الذين يولدون محبين للأعراس، كانوا دائماً يسيرون وراءه في القرية وهم يزفونه قائلين "العبيط أهو.. العبيط أهو"، فالتصق به هذا الاسم

حتى أن أهل القرية نسوا اسمه الحقيقي وكانوا يكتفون بذكره أو مناداته باسم العبيط..

أراد الله لهذا الرجل أن يشفى تماماً عند الأطباء وعاش بعدها قرابة العشر سنين مثالاً للحكمة والتعقل.. لكنه لم يشفَ عند أهل قريته الذين ظلوا يعاملونه كمجنون وحتى أنهم ظلوا يخاطبونه بالعبيط حتى آخر أيامه.. وكلما كان يعترض أو يغضب ممن يناديه بالعبيط كانوا يفسرون ذلك بأن المجنون لا يعرف أنه مجنون.

مات الأب فقيراً بعدما فُصل من عمله بعد مرضه هذا.. ولم يترك لابنه من بعده سوى لقبه هذا.. ولأن السيرة كنزٌ لا يفنى، فقد رافقت ابنه سيرة أبيه هذه لأكثر من ثلاثين عاماً من حياته.. فقد مرض الأب وابنه في الثامنة وتوفى منذ عشرين عاماً تقريباً ومازالت سيرته هذه لصيقة بابنه، فقد كان الأطفال يسمّون هذا الشاب منذ طفولته أيضاً بالعبيط تيمناً باسم أبيه.. وكانوا يزفونه في القرية، وحتى الكبار في القرية كانوا قد اعتادوا على هذا الاسم إلى حد أنهم نسوا تماماً اسمه الحقيقي، فإن سألت أحدًا في القرية

عن "عبد الله" فلن يعرفه، وسيأخذ في سؤالك عن مكان سكنه أو أوصافه، ولكن بمجرد أن تقول له "العبيط" يعرفه على الفور.

نُغصت حياة هذا الشاب تماماً، فلم يستطع الزواج أو العمل في الوظيفة التي يريدها، فاكتفى بزراعة أرضه.. وكان الجميع يخشون التعامل معه خاصةً وأن مرض أبيه هذا كان من النوع الذي يمكن أن يورّث.

حاول الزواج مرات عديدة من بنات قريته.. ولكن كان مجرد طلبه هذا مبعثًا للتهكم والسخرية من البعض، أو الرفض الفوري من البعض الآخر.. وحينما كان يحاول البعض مجرد التفكير في الأمر ومنح الشاب فرصة للذهاب للتعرف بابنته، كان أهل القرية ينغصون حياة هذا الأب بنسيبه العبيط هذا.. وبمجرد أن يخرج الشاب ليذهب لبيت صهره المستقبلي يجد الأطفال في انتظاره ليزفوه إلى البيت.. فيضطر لأن يرجع من منتصف الطريق لأنه أيقن أن رفضه محتوم.

حاول الزواج من خارج قريته ليتفادى هذه المشكلة الكبيرة.. وعندما كان يذهب لبيت أصهاره الجُدد كانوا يعجبون

كثيراً بتعقله وذكائه، ولكن عندما يذهبون للسؤال عنه في قريته، فيجيبهم أهل القرية بأنه عبيط، وما إن يسمع أحد أن العبيط يريد الزواج حتى تبدأ الزفة، فيطوف الأطفال وهم يقولون "العبيط هيتجوز" ومن يسمعهم من أهل القرية يقول (والله عجيبة حتى العبيط عايز يتجوز) وهكذا فشلت كل خطباته.

كان أهل قريته يفسرون كثيرًا من أفعال الشاب وأقواله بأنها من قبيل العبط.. ويعتقدون أنه سيُجن يوماً ما مثل أبيه..

بدأت علامات الجنون تظهر على هذا الشاب بالفعل.. فقد خرج ذات يوم وطلب من الأطفال الموجودين حول بيته أن يبدأوا زفتهم المعتادة وأن ينادوه بالعبيط.. ذُهل الأطفال في البداية ووقفوا مرتابين خائفين، لكنه سألهم "مين العبيط" فلم يردوا، فسأل مرة ثانية وثالثة حتى بدأوا يجيبونه بريب في البداية "أنت"، ثم أخذ يرفع صوته "مين العبيط" وهم يجيبونه "أنت" وسار أمامهم في القرية وهم يزفونه "العبيط أهو.. العبيط أهو" وهو يسير أمامهم مبتسماً واثقاً من نفسه مزهواً فتأكد الجميع أن لوثة أبيه قد أصابته.

ظل على هذه الحال كل يوم لمدة أسبوع حتى زهد الأطفال الأمر وكفوا عن زفته..

تأكد الجميع من جنونه الذي أصبح أمراً لا يحتمل الشك حينما خرج ذات يومٍ وأعطى كل من يقف حول منزله نقوداً ليؤدوا وِرد زفته اليومية.. بعد ثوانٍ تجمع حول بيته أهل القرية كلهم، منهم من جاء ليشاهد هذا الجنون ومنهم الذين جاءوا لاستغلال العبيط.. وظل على هذه الحال كل يوم.. يخرج ليعطي كل من يراه ثمن زفته "العبيط أهو" وهم يطوفون القرية كلها معه يسخرون ويهزأون.. وظل على هذه الحال قرابة الشهرين وكل يوم يجتمع الكثيرون ليأخذوا ثمن سبه وشتمه حتى أصبح أمراً معتاداً، وأصبح مصدر رزقٍ لهم.. فعندما يخرج من بيته في المساء يسألونه "هات فلوس يلا عشان نقولك يا عبيط" فيعطيهم ما يريدون وأكثر..

ذات يوم خرج عليهم العبيط، وطلبوا منه النقود مثل كل يوم.. رفض بشدة وقال لهم "مش هديكم فلوس وهتقولولي يا عبيط من غير فلوس بعد كده" وصمم على رأيه هذا، فاستاءوا منه

بشدة وقالوا له كيداً فيه "خلاص طالما مش هتدينا فلوس مش هنقولك يا عبيط تاني" ظانين أنهم حقاً يعاقبونه على فعلته!!!

# قصة سعيدة

أمسك بقلمه عازماً على أن يكتب قصة سعيدة، بعدما اتهمه قارئه بأنه يسوّد حياتهم البمبي، وخاصة قارئاته الشابات، فقرر الكاتب أن يكتب قصة سعيدة يبمبم بها حياتهم البمبي أكثر.

فكر الكاتب في نوع قصة تكون محببة لدى جمهوره وخاصة القارئات، ولم يستغرق وقتاً طويلاً حتى استقر على نوع القصة الرومانسية، حيث يتقابل فيها شابٌ وشابة، يحبان بعضهما وينتصران على كل المصاعب التي تواجه حبهما، حتى أنهما يتمكنان في النهاية من قتل الوحش الكبير الذي يقف أمام تحقيق حلم زواجهما، وتنتهي القصة نهاية سعيدة ترضي كل القارئات وتجعلهن يسرحن ويتخيلن أنفسهن بطلات هذه القصة الرومانسية الكبيرة وأنهن ينتصرن في النهاية ويحصلن على الحب الذي طالما حلمن به، ويتزوجن في النهاية ويعشن في تبات ونبات بعدما قضين على كل التهديدات.

أمسك الكاتب قلمه وبدأ باسم الله.. فكر في الصعاب التي يمكن أن تمنع مثل هذا الحب ورجّح أن يكون هناك تفاوت طبقي مالي كبير بين العائلتين.. فجعل الشاب من عائلة كبيرة غنية.. أبوه وأعمامه من كبار رجال المال والأعمال وأخوته أيضاً لكل منه شركاته الخاصة التي أنشأها لهم أبوهم.. وبطل القصة هو الآخر فتى في الخامسة والعشرين لم يعتد طوال حياته طلب شيء، فلم يكن ينقصه شيء أبداً حتى يحاول أن يطلبه...

أسماه "ثروت" أما هي فأسماها "حبيبة"... بدأت علاقتهما بداية غير مألوفة.. فأثناء سير الشاب بسيارته المرسيدس في أحد شوارع الدقي رآها تمشي أمامه فغازلها.. لم تلتفت له وأسرعت في خطاها غير متهمة به.. ضايقه الأمر فكيف ترفضه وهو الذي تتمنى مئات البنات إشارة منه.. سارعت في خطاها فسار وراءها بسيارة يرقبها غير منتبه، حتى أفاق على سباب أحد الشباب.. أفاق فإذا به قد غاص بسيارته في بركة مياه فتطاير الماء على ملابس أحد الشباب الذي كان متأنقاً برفقة أصدقائه الثلاثة الذين كانوا في طريقهم للتقديم في إحدى الوظائف.. قال الشاب الذي

اتسخت ملابسه بغضب "مش تفتح يا حمار".. وبدل أن يعتذر بادله (أنا اللي حمار يا حيوان)، وما إن أقفل فاه حتى هجموا على سيارته وانهالوا عليها بالتكسير ففر هارباً بسيارته التي طيرت الماء هذه المرة على فستان تلك الحسناء.

جمعت الصدفة بين الشابين مرة أخرى.. عندما كان ثروت يزور أحد أصدقائه في إحدى العمارات القديمة بحي الدقي، وأثناء خروجه من العمارة وجدها تدخل إليه.. ولما رأته اختلطت مشاعرها بين الضحك من تخيل منظره بين أنياب الشباب وبين الغضب بسبب فستانها الذي اتسخ يومها واضطرت للرجوع للبيت وإلغاء ميعادها..

حاول أن يحدّثها فرفضت.. زاد ضيق الشاب من رفضها، وأقسم أن يوقع بها.. ومن ثم انقطع لها يومياً في ميعاد خروجها.. وفي كل مرة يحضر معه هدية ثمينة ترفضها الفتاة.. ولأن (الدوي على الودان أمر من السحر) ولأن (الاهتمام مبيتطلبش) انجذبت الفتاة لهذا الاهتمام ولهذا الشاب الذي جعلها شغله الشاغل..

فاستسلمت لحبه الذي بادلها هو الآخر به، وتقاربا حتى اتفقا على الزواج..

ذهب العريس في اليوم المحدد برفقة أبيه وأخوته وبعض أفراد عائلته الثرية.. نزلوا من سياراتهم، وصعدوا إلى شقة العروس وجلسوا يتعارفون.. كانت صدمتهم الكبيرة في البداية والتي لم يستطيعوا أن يخفوها أن أهل العروس من متوسطي الحال وأنها لا تليق بمكانة عائلتهم الكبيرة.. فأبوها كان موظفاً جمع كل ما لديه وباع أرضه الموروثة ومع مكافأة نهاية الخدمة استطاع شراء هذه الشقة.. لم يستطيعوا أن يخفوا تأففهم من العروس ومن مظهر أهلها الذي لا يليق بهم.. جلسوا بضع دقائق ونزلوا متعجلين دون حتى أن يقولوا بضع كلمات..

كان العريس الشاب معتاداً على رد فعل عائلته هذا، فطالما شاركهم في فعلهم هذا في التعالي على أناسٍ أقل منهم شأناً، ولكن كان الفرق هذه المرة أنه رأى رد فعلهم من زاوية مختلفة، فقد رأى رد فعلهم من زاوية المفعول بهم أي المتعالى عليهم، وعرف كم كان هو وأهله أشخاصاً متعالين متعجرفين، لا يراعون شعور

الآخرين، وقرر أن يغير من نفسه بعد ذلك ولا يتعالى على أشخاص كل ذنبهم أنهم ليس لديهم مال كثير... ودفعه شعوره هذا إلى مواصلة مشروع زواجه لأنه إلى جانب حبه للعروس، وجد في فعله هذا تعويضاً عما أصاب هؤلاء الناس الأبرياء من تعالٍ من أهله...

قرر أن يفاتح أباه مرة أخرى في أمر زواجه، وقد كان.. صمم أبوه على الرفض بشدة واستهان بالعروس وأهلها، فصارحه ابنه برأيه فيه وفي عائلته بعدما رآهم يتحدثون تلك الليلة، وأخبره أنه كان يتساءل طول عمره لماذا يكرههم الناس، وكان يرى أن الناس يحقدون عليهم بسبب غناهم، ولكن منذ تلك الليلة عرف أن الناس تكرههم بسبب تعاليهم، وأنهم لهم الحق في أن يكرهوهم..

كان كلام الابن هذا سبباً كافياً لثورة الأب الذي انهال عليه بالصراخ، وعايره بأنه هو من صنعه وأنه من دون أبيه لا يساوي شيئاً، وإن كان يفضل هذه البنت وأهلها فليذهب إليها

ولكن عليه أن ينسى تماماً أباه وأخوته وكل عائلته، وأنه سوف يحرمه من الميراث ويعتبر أنه قد مات...

ذهب الابن إلى حيث كانت تعمل حبيبته، ذهب بدون سيارته، فقد نزل من بيته بالمال الذي كان في جيبه، والذي لم يكن كثيراً، فهو لم يعتد حمل الكثير من المال، ولكن اعتاد دائماً حمل العديد من الفيزات، وقد حرمه أبوه منها جميعاً، فاضطر لركوب سيارة أجرة والتي كانت بالنسبة له كما لو أنه سقط من السماء إلى الأرض.. كان حاله يُرثى له.. حكى لها كل ما حدث، وأخبرها أنه يحبها ويعشقها، وأنه سيضحى بالمال وسيتحمل مقاطعة أهله له لأجل حبه لها، والذي فاق الحدود... وجثا على ركبتيه في حركة سينمائية طالباً يدها.

سعدت العروس كثيراً بهذا، وأحست بقدرها عنده وبتضحيته الغالية لأجلها، ابتسمت وخفق قلبها ثم فتحت فمها لتجيب...

رفع المؤلف قلمه وتوقف عن كتابة ردها، رغم أن هذه نهاية سعيدة سوف تسعد كل من تقرأها وتسمو بها إلى أعلى

درجات الرومانسية.. لكن تراءت له بعض الأسئلة الوجودية.. ألن تكون من الأنانية أن تكون الفتاة سبباً في شقاء الشاب الذي أحبها وحرمانه من ماله وأهله؟ هل سيحتمل الزوج المترف مشقة هذه الحياة الفقيرة.. أم سينصاع في النهاية لرغبة عائلته الأنانية ويتخلى عنها في أي وقت كان.. لم يستطع المؤلف أن يضمن الإجابة على أي من تلك الأسئلة التي ستظل محتملة ومعلقة.. ثم أبى المؤلف أن يرضى بسعادة وقتية، ربما لن تدوم طويلاً.. لم يرضَ بالمغامرة.. ترك القلم... ولم يكتب النهاية...

# ضمير

كان أحد الأطباء قد اشتهر وسط بلدته وأبناء جلدته.. لم تكن شهرته لكثيرعلمٍ وإنما لعظيم فضل.. فقد علم أن الطب رسالة تؤديها وليس مشروعاً تبدؤه. قضى سنوات عمره التي جاوزت السبعين لم يتأخر عن خدمة أبناء مدينته.. لم يجعل ثمن كشفه حاجزاً بينه وبين فقراء المرضى الذين كانوا يتوافدون على عيادته في الصباح والمساء.. رحل هذا الطبيب الملائكي وسط هدوءٍ وسكون.. موت هادئ أتبعته ضجة شديدة.. نعي من القريب والغريب.. دعوات بالمغفرة.. عرفانٌ بالجميل وثناءٌ على تواضعه وزهده.. شهرةٌ كبيرة زهد فيها في حياته فأتته راغمةً بعد وفاته.. نعي بالداخل والخارج..

أشعرت هذه الضجة والاهتمام بهذا الشخص المتواضع بعض من استشعروا مهنته بالغيرة.. فخرجوا يجرّحون الفارس الراحل.. لم تقع عيونهم وقلوبهم إلا على عيادته التي وصفوها

بأنها غير الآدمية وملابسه ومظهره اللذين اعتبروهما غير لائقين.. فتغنوا بها وتناسوا زهده ورحمته بالمرضى الفقراء..

بعد يومٍ حافلٍ ذهب للنوم هذا الطبيب الشهير الذي يُكال كشفه بالمئات، وذلك بعد أن ملأ الدنيا بالحديث عن هذا الطبيب الراحل الذي لم يطور نفسه وعلمه.. وعندما نام على سريره شعر ببعض تأنيب الضمير عندما قارن نفسه بهذا الطبيب الزاهد الذي جعل شغله الشاغل خدمة الفقراء بتواضع، وهذا شعور لم يأته إلا قليلاً بعدما اعتاد على استغلال مرضاه واختيار الطرق الأكثر ربحاً دائماً لمعالجتهم..لكنه ذكّر نفسه على الفور بهذا الطبيب المتواضع وبعيادته غير الآدمية.. وذكّر نفسه أيضاً بعيادته هو شديدة النظافة ومظهره اللائق.. فارتاح ضميره على الفور لأن عيادته نظيفة ومظهره مناسب لما يدفعه المرضى من دماء قلوبهم!!

# مشهد من الذاكرة

دخل إلى ركنٍ ركين من زنزانته.. عيناه تنضح بندمٍ ممزوجٍ برضا، ندمٍ لما مضى ورضا بما قضى، فقد تأخر له ما قدّم.

يوم أن ولدت ابنته الأولى لبنى.. لم يكن سعيداً بفرحته الأولى حتى أنه لم يكن يريد الاحتفال بسبوعها لولا إلحاح زوجته وأمه ليفرحوا بأول مولودٍ في العائلة.. فرحته القليلة تناقصت تدريجياً مع ميلاد ابنته الثانية، ثم تحولت إلى غضبٍ شديدٍ مع ميلاد الثالثة.. ثم تصميم على الطلاق مع إنعام الله عليه الرابعة لولا تدخل العقلاء الذين حاولوا تهدئته وأقنعوه أن يعطي لزوجته فرصة أخرى وليكن بعدها حراً يفعل ما يشاء.

جاءت الولادة الخامسة لزوجته بابنةٍ خامسة.. فصمم على الزواج من أخرى تكون خلفتها ذكوراً وليس إناثًا.. تزوج من شابة أخرى تصغره في السن بخمسة عشر عاماً.. ثم أعطاه الله مراده ووهبه منها علياً الذي أسماه على اسم أبيه.. كانت سعادته لا توصف بميلاد ذكره الذي كان يرى فيه السند له ولأخواته من

بعده.. جهّز له سبوعاً لم تشهده قريته من قبل، فقد ملأ فازات السبوع بأفخر أنواع المكسرات، وزيدت عليها عملات ورقية من فئة الخمسة والعشرة جنيهات.. ثم بعد فترة ومع إلحاح زوجته عليه كتب له نصف أملاكه، كي يؤمن له مستقبله إذا أصابه أي مكروه.

بارك الله سعي زوجته الأولى على بناته، فحصلت ابنته الكبيرة على أعلى الدرجات في الثانوية العامة ودخلت كلية الطب.. لم يسعد كثيراً ذلك اليوم، فقد كان يرى أن البنت ليس لها إلا الزواج، وكذلك فعل عند نجاح بناته الأخريات، حتى أن زوجته كانت تبادره بإخباره النتيجة دون أن يسأل هو.

كانت سعادته بالغة بنجاح ابنه في الصف السادس الابتدائي، واحتفل بنجاحه وعزم أهله جميعاً..

كان علي صاحب نصيب الأسد في كل شيء من طعام وشرابٍ وثياب، فكان يأخذ ما يكفيه ويفرق الباقي على أخواته البنات، اللاتي كن كالخادمات له، ولم تكن إحداهن تجرؤ على الرد

على تجاوزه المستمر في حقهن، لأنهن كن يعلمن جيداً ما سيفعله بهن الأب إذا تجرأن على شبله.

رسب في الشهادة الإعدادية للمرة الثانية.. لامه عمه بشدة ونصحه أن يلتفت لمستقبله أكثر من ذلك، ونصح أباه أيضاً أن يكف عن تدليله لأن ذلك سوف يفسد أخلاقه.. لم يستمع الأب لكلام أخيه والذي تسبب في توتر علاقتهما بعد ذلك..

حصل على الدبلوم المهني.. ولم يفكر في العمل وكيف له ذلك وكل طلباته مجابة، وكل ما يريده منه أبوه هو رضاه وسعادته ليس أكثر من ذلك..

دفعه أبوه للنزول والتعرف على الناس، وأراد له أن يكون (لايف وداير) كما كان يقول لأن هذا هو الذي سيحميه من غدر الناس..

كان شديد (اللماضة) منذ صغره كما وصفوه، ثم تحولت تلك اللماضة إلى تطاول فيما بعد، ورضي أبوه بسوء أخلاقه لأنه يستطيع الدفاع عن نفسه..

صاحب شخصاً جديداً اسمه يسري، أبيض اللون أصفر الشعر، رفيع القوام، لكن تشوب عينيه سُمرة تحتها.. كان حلو اللسان شديد الذكاء.. استطاع التقرب من علي في فترة بسيطة حتى أصبح يسيطر عليه ويقضيان النهار كله معاً.. تعلم على يديه تدخين السجائر والتي تحولت بعد ذلك إلى مخدرات حتى أدمنها، فأصبح من بعد ذلك لصاً ومروجاً للمخدرات التي كانت بابه لفعل كل ما هو غير مشروع..

أنفق الأب نصف ثروته الباقية على نزوات ابنه الكثيرة وعلى مشاكله المتكررة التي اضطر فيها لدفع تعويضات كبيرة لأشخاص كسر لهم ابنه محلاتهم في مشاكله، وما تبقى من ذلك أنفق الأب في محاولاته علاج ابنه من الإدمان، حتى لم يعد الأب يستطيع المزيد من الإنفاق خاصة مع وجود خمس بنات معلقات في رقبته، فاتهن الزواج بسبب سيرة أخيهن السيئة.. أما المال والأملاك التي كان قد كتبها باسم ابنه في طفولته، فلم يعد يستطيع التصرف فيها بعدما كبر ابنه، ولم تسمح له زوجته وابنه بالتصرف

فيها، فضاق به الحال بعد سعة، وأضحى ابنه الذي كان مصدر سعادته، مصدر ضيقه وعوزته.

تذكّر مشهد النهاية يوم أن استيقظ من نومه مفزوعاً على صراخ إحدى بناته ودخل عليها فإذا بأخيها ممسكاً بها وهو في ذروة سكرته وملابسها ممزقة من على كتفيها وصدرها.. جذبه الأب ودفعه بقوة بعيداً عنها.. لكنه أعاد مرة وأخرى دون وعي.. لم يكن يدري بأبيه أو بأخواته.. حاول الأب دفعه عديداً لكن شيطان سَكرته كان أقوى من الأب العجوز وكلما أبعده عن ابنته عاد إليها مرة أخرى..

ترك الأب ابنه ووقف فجأة شاخصاً بصره لا يتكلم.. نظر حوله فوجد اللاب التوب الخاص بابنته المهندسة.. رفعه لأعلى بكلتا يديه بثباتٍ.. وبثباتٍ نزل به فوق رأس ابنه ودموعه تنهمر.. مرة واثنتين وثلاثًا وخمسًا فوق رأس ابنه حتى تمزق..

# عاهة مستديمة

دخل الشرطي إلى قسم الحوادث بالمستشفى الجامعي ليأخذ أقوال أحد المصابين، والذي جاء مصاباً بجرح فوق حاجبه الأيمن احتاج إلى سبع غُرز من الخياطة، وأثر على عصب عينه اليمنى فأصبح لا يستطيع فتح جفنه بشكل طبيعي، وهو ما جعل الإصابة عاهة مستديمة واستوجب عمل محضر بالواقعة..

بعد أن أجاب المصاب عن الأسئلة المعتادة في مثل هذه الحالات، فعرّف نفسه بأنه محمد السيد أحمد، يبلغ من العمر 42 عاماً، ويعمل فنيًا بإحدى الهيئات الحكومية، متزوج ولديه ولدان قاربا الخامسة عشرة من عمريهما، بدأ حكايته عن سبب عاهته المستديمة هذه، وبدأ يحكي بأسى:

بدأت الحكاية عندما كنت عائداً من عملي كعادتي كل يوم في الساعة الثانية بعد الظهر، وأثناء سيري إلى جانب الرصيف بأحد شوارع غمرة، صادف أن كان هناك سد في إحدى بالوعات العمارات بالشارع، فوقفت بركة من المياه أمام تلك العمارة، وأثناء

مروري بجوار تلك البركة مرت سيارة ميكروباص مسرعة 358وح ش، (فطرطش الماء) على ملابسي، واتسخت ملابسي بهذه المياه القذرة، فغضبت جداً وقلت للسائق (مش تفتح يا أعمى)، وتوقعت من السائق أن يعتذر لي عن ملابسي التي استقت بمياه الصرف الصحي حتى شبعت.. لكني فوجئت بالسائق يرد غاضباً متبجحاً وقال له (أنا بشوف أحسن من اللي خلفوك)..

فتح السائق باب السيارة لينزل، واندفعت أنا الآخر نحوه بقوة لألحق به عند باب السيارة.. نزل السائق من السيارة وعندما رأيته علمت أنني تسرّعت، وودت لو أقول له الطيب أحسن وأن أقبّل رأسه وربما يده إذا أراد ليتركني وعفا الله عما سلف، ولكن كان الأوان قد فات، فقلت في نفسي (كمّل وربنا يستر) ودعوت الله أن يوقف لي أولاد الحلال لينقذوني من هذا المتوحش..

كان السائق عملاقاً يقارب طوله المترين ويجاوز وزنه المائة وخمسين كيلو.. تظهر في وجهه المائل للسواد آثار جروح عميقة يبدو من شكلها أنها جُرحت بمطواة، فشعرت أنني سوف أتناول غدائي ضرباً هذا اليوم.. حاولت تلطيف الأجواء فبادرته قائلاً

"ينفع كده يعني هدومي اللي باظت دي"، فرد علي "ده أنا هبوظ وش اللي خلفوك"، وهجم عليّ على الفور واصطدمت قبضته بوجهي فشعرت وكأن رأسي اصطدمت بعمود وأنا أجري مسرعاً.. دافعت عن نفسي بقدر ما استطعت، وكنت كقط يصارع نمراً..

استوقفه الشرطي قائلاً: إذن سائق الميكروباص هو الذي فتح حاجبك بهذا الشكل.. فرجاه الرجل أن يصبر ليحكي له تفاصيل مهمة، واستكمل حديثه قائلاً:

لم أشعر بنفسي إلا وجماعة كبيرة من الناس تحاول أن ترفع هذا الوحش عني، بعد أن جرّب علي كل أنواع الضرب، حتى أصبحت خبيراً بأنواعه، والتقطت أنفاسي التي كادت تُزهق تحت ثقل هذا الخرتيت..

توقف الرجل قليلاً وسأل الشرطي "هل السائق سوف يقرأ ما يقوله هذا"، فأجابه الشرطي بأنه من حقه أن يقرأ المحضر كي يستطيع الدفاع عن نفسه، فرجاه أن يمسح كلمة خرتيت هذه، واستكمل حديثه بعد ذلك بمزيد من الحذر قائلا:

التقطت أنفاسي التي كُتمت بسبب ثقل الأسطى السائق، وأحسست بالدم يملأ وجهي وعيني اليمنى هذه، التي كادت تفقأ لولا ستر الله..

ذهبت إلى منزلي بملابسي التي اتسخ ما تبقى منها على جسدي، وكنت كمن خرج من القبر، فكنت في غاية الإعياء، وكان الدم يتسرب من المنديل القماش الذي كان فوق جاجبي.. دخلت منزلي وأنا أشعر بالخيبة الممزوجة بكثير غضب..

ذُعرت زوجتي كثيراً عندما رأتني.. وأخذت في الصراخ خاصةً أن مشاعرها رقيقة، لا تحتمل رؤية الدم، حتى أنها كانت تقف بعيداً عندما تذهب لشراء الدواجن حتى لا ترى البائع وهو يذبحها..

أخذتني زوجتي إلى الحمام وغسلت جسدي جيداً بالماء وغيّرت لي ملابسي، وأخذتني لتطهر لي الجرح ولتعرف مني ما حدث..

أحضرت زجاجة الميكروكروم والقطن والشاش وأخذت تنظف الجرح وهي تسألني متلهفة كي تطمئن عليّ.. بدأت أحكي لها عن هذه المعركة التي حدثت بلا داعٍ بسبب وقاحة السائق.. وكم أنه كان قوياً إلى درجة كبيرة.. ولكنني لم أستسلم له ودافعت عن نفسي بكل قوتي.. وكي أتمسك بمزيد من رجولتي أمامها، أخبرتها أنني أيضاً جرحته في وجهه، وقد كان هذا حقيقيًا فقد وخزته بظفري في وجهه فأحدث خدشاً يمكن أن تراه تحت الميكروسكوب، ولكنه جرحٌ على أي حال، ثم غيرت الحديث سريعاً كي لا تسرعني كيف جرحته وهل الجرح كبير مثل جرحي أم لا.. واستجابت هي لتغييري للحوار لأنها كان كل همها الاطمئنان علي وعلى حالي.. ولمزيد من التباهي أمامها قلت لها "الناس هما اللي حاشوني عنه".. ولم تنتبه لجملتي هذه لأنها كانت قلقة علي..

تابعت حكايتي وهي تستمع بحزن ودموعها تنزل على خديها وهي مستمرة أيضاً في تنظيف جرحي برفق..

تابعت حكاية القصة حتى فرّق الناس بيني وبين السائق.. وشعرت بالدماء تملأ عيني، حتى ظننت أن عيني فقئت، وهنا أخرجت زوجتي أنة ملتاعة لحالي.. واصلت حديثي قائلاً: لم يكن معي منديل أجفف به الدماء النازلة على عيني ووجهي.. فصعُبت على الواقفين فجففتْ عيني بهذا المنديل وتركته لي سيدة..... فجأة ضربت زوجتي حاجبي المجروح بزجاجة الميكروكروم بحركة لاإرادية وهي تصرخ (واحدة مين دي ياخويا اللي نشفتلك بمنديلها).. وفجأة زال تعاطفها وتطاير الشرر من عينيها.. ولم تمهلني حتى أخبرها بأنها كانت امرأة عجوزًا تقارب الخامسة والستين من عمرها!!

# الجَشِـع

تولّى أمر إحدى البلاد ملكٌ، كان قد عُرف عنه حبه الشديد للمال إلى حد لم يُعرف به أحد من قبل، فقد كان المال أحب إليه من كل ما سواه.. لم يكن يحب ركوب الخيل أو لعب الشطرنج أو أيًا من الرياضات التي عادة ما كان ينشغل بها الملوك.. وقد ظن الناس من فرط حبه للمال أنه ربما أحد أقاربه الطامعين في السلطة قد سحر له بحب المال.. وكان الناس يتندرون عليه بأنه يعشق المال أكثر مما يعشق النساء..

رفع الملك شعار "ادفع إذا بعتَ وإذا اشتريت وإذا اقتضيت"، فكان على مواطنيه أن يدفعوا دماء قلوبهم لقضاء أي مصلحةٍ من الدولة وحتى من دون قضاء أي مصلحة..

كان الفقر حال كل أفراد الشعب عدا فئتا رجال الجيش والمنافقين، فلكي تكون في مأمن عليك إما أن يكون لديك القدرة على حمل السلاح، فيتم الاستعانة بك في ضمن رجال الملك الذين كان ينالهم نصيبٌ كبير من خيرات الناس. أو أن تبلغ مرتبة كبيرة

في النفاق، فيعجب الملك بنفاقك، ويجعل ضمن جهازه الإعلامي الذي يحدّث الجموع الجائعة ليل نهار عن تفاني الملك في خدمتهم وعن الأموال الطائلة التي يتكبدها ليحيي أمته وينشذ عظامها ويكسو لحمها..

كان من بين أفراد الشعب رجلٌ في الأربعين من عمره، ضاق من الظلم هو الآخر، ويعاني الأمرين في تربية أبنائه وتدبير شئونه.. لكن الدولة قررت أن تعامله معاملة أصحاب الثروات.. لأنه يملك عربة كارو قديمة وحمار هزيل..

كان هذا الفقير يعرف جيداً مغبة طأطأة رأسه بالغضب، لذا دائماً ما كان يصبّر نفسه بالرضا.. لكن صبره كان قد نفذ.. كان الرجل يعمل في مهنة نقل البضائع، وكل من لديه شيء يريد توصيله يذهب إليه ليوصله له بعربته المتهالكة التي يجرها حمارٌ جفّ لحمه فوق عظامه، ولكنه كان صابراً على مشقة الجر مثل صاحبه..

فوجئ ذلك الرجل ذات يومٍ بأن ضرائبه زادت النصف، ولما سأل ليعرف السبب، أجيب بأنه لابد أن يدفع أولاً، ثم يسأل أو يتظلم بعد ذلك.

دفع مضطراً، ثم سأل بعد ذلك، فكان سبب هذه الزيادة الكبيرة أن لديه عربة كارو، ولهذا فهو من أصحاب الأملاك، ولابد ألا يعامل معاملة أصحاب الحمير، لأن العربة تنقل أكثر مما ينقله الحمار، ولهذا يجب أن يتحمل نسبة أكبر من الضرائب.

لم يكن هناك مجالٌ للاعتراض، ولم يكن أمامه سبيل إلا الرضا.. لكن الحال ضاقت عليه بعد هذه التكاليف الجديدة، فقرر الاقتصاد في بعض المصروفات، وصرف النظر عن شراء حذاءٍ وبنطالٍ كان يستقضيهما كل عامين، كما استغنى عن إصلاح العربة، ولما لم يتيسر حاله، قرر في النهاية أن يبيع العربة توفيراً لنفقات إصلاحها وتخفيضاً للضرائب التي فُرضت بسببها.

باع العربة، وصبّر نفسه بأن حمولاته دائماً ما تكون قليلة يمكن نقلها بحماره هذا، وها هو قد وفّر ثمن الضريبة الزائدة وثمن إصلاح العربة..

في الشهر التالي ذهب لدفع ضرائبه في الموعد المعتاد، وفوجئ بأن الضريبة لم تقل، لكنها زادت قليلاً.. دفع كالعادة ثم أخذ دوره في السؤال والتظلم..

كان سبب زيادة الضرائب هذه المرة أن قد كسب الكثير من ثمن العربة التي باعها كما أنه وفّر ثمن إصلاحها، وكذلك فإن الحمار ينقل ما تنقله العربة لأن الحمولة تكون قليلة لا تدر كثيراً من المال على أصحاب العربات، والذين يتحملون كثيراً من نفقات إصلاح هذه العربات.. وعلى كل حالٍ فحالك أفضل بكثيرٍ من أولئك الحمّالين الذين ينقلون على أكتافهم، فلا تكن طماعاً..

اقتصد في أكل اللحم، فأصبح كيلو اللحم وجبة مرة واحدة كل شهرٍ أو شهرين، ولم يعد أمامه حلٌ إلا أن يبيع الحمار ويستحمر هو مكانه.. وإنه لأمر جد ثقيل، لكن ما بيده حيلة.. ولكن على كل حالٍ فقد باع الحمار بمبلغ ليس بالكثير لأن حماره كان يعاني الجفاف من قلة الطعام مثل صاحبه..

حل موعد الضريبة الجديدة بعد أسبوعين، فذهب كعادته في الموعد المحدد وهو سعيدٌ أن ضريبته انخفضت إلى النصف.. لكن ياللمصيبة! زادت ضريبته للمرة الثالثة، حتى أنها أصبحت ضعف ما كانت عليه أول مرة..

لم يكن أمامه بدٌ إلا الدفع.. ثم أخذ دوره في طابور كبير من السائلين والمتظلمين.. وكان سبب زيادة الضريبة للمرة الثالثة أنه قد باع الحمار الذي كان شريكاً لك، وكسب من ورائه مالاً كثيراً دون أن يعطي للحمار نصيبه، وهذا المال الزائد هو نصيب ذاك الحمار المسكين، ولابد للدولة أن تأخذ للحمار حقه..

سأله الرجل الفقير متعجباً: وهل اشتكى لكم الحمار.. فأجابه بأن الحكومة لا تحتاج إلى شكوى حتى تحمي حقوق الحمير من الجشعين أمثالك!

# انتحار

ردت إليه روحه... وجد الظلام يحيط به من كل اتجاه وكأنه فقد بصره.. حاول أن يستجمع نفسه فأحس نفسه ملفوفاً في طية قماش مربوطة من فوق صدره ومن عند قدميه.. لكن وجهه مكشوف.

شعر بضيقٍ شديد.. نهض جالساً.. ثم هب ليقف فاصطدم رأسه بقوة بسقف قوي.. حاول أن يفتح عينيه جيداً وأن يحد بصره لكن لم يرَ أي شيء. إنها ظلمة القبر.

فجأة سمع صوتاً رخيماً يسأله بقوة وشدة من أنت؟ أيقن أنه قد مات ثم بُعث للحساب.. لم يكد يفوق من الصدمة حتى تردد الصوت أقوى من المرة الأولى وهو يسأله من أنت؟ فرد أنا فلان ابن فلان.. سأله: هل كنت تصلي.. تسمر ولم يستطع النطق، فهو يعلم أنه لم يكن مداوماً على الصلاة إلا في صلوات الجمع وفي أيام رمضان ثم بعض الصلوات المتقطعة الأخرى.. تردد السؤال مرة ثانية وثالثة.. ولم يجب، فجاءه صوت الملك قائلاً حبط عملك.

ما الخير الذي قدمته في حياتك؟ فيما أفنيت عمرك الماضي؟ حاول أن يتذكر ما قدم من خير لكن خيره كان قليلاً بحيث يحتاج وقتاً كي يتذكره.. هو في امتحانٍ عسير ويريد النجاح فيه والنجاة من العقاب الشديد.. لكن هل يمهله الملك كل هذا الوقت كي يتذكر ما قدم من بعض خيرٍ يسير؟

يسأله الملك ثانياً، هل تتذكر ما اقترفت من آثام؟ يتذكر آثامه ويبدأ في البكاء..

يعاجله الملك كيف مُتَ.. يسترجع شريط حياته ويتذكر آخر أيامه.. يتذكر عمره الماضي الذي جاوز السابعة والعشرين.. حياته التي قضاها منذ بلوغه في السهر والاستهتار وأنه ما قدم من خير ولكن قدّم من شر كثير..

يتذكر تهديده بالانتحار دائماً وأنه دائماً ما كان يقول لأبويه إن الموت أفضل من عيشتهما هذه.. تلك الجملة التي كانت مفتاح تحقيق طلباته.. فعندما كان يرفض والداه أي طلبٍ له، تنطلق من فمه عبارات التهديد بالانتحار وأن الموت أفضل من الحياة معهما، فتدفعهما عاطفتهما لتنفيذ طلباته التي كانت عادة ما تكون شبه

مستحيلة.. لم يكن رفيقاً يوماً بأبيه الذي جاوز الخامسة والخمسين من عمره ومازال يكد في عمله كي يستطيع تحقيق طلباته التي لا تنتهي، ولا بأمه التي لم يكن يشعر بآلامها وكان يغضب عندما تئن من خشونة ركبتيها اللتين لم تعودا تحملانها.

تذكر آخر يومٍ له على قيد الحياة قبل أن يفقد وعيه.. وكيف أنه ابتلع علبة مخدر كاملة كي يجبر أباه على أخذ قرض كبير ليشتري له سيارة باهظة الثمن..

تناول علبة المخدر.. نُقل إلى المستشفى وسط وجع قلبي أبويه.. أفاق بضع ساعات وتحسنت حالته وأوشك أن يخرج من المستشفى.. ثم فقد وعيه فجأة بعد ذلك.. ثم ردت إليه روحه داخل هذا القبر..

سمع صوت الملك يقول له قتلتَ نفسك؟ حبط عملك.. حبط عملك.. حبط عملك!

أخذ يئن ويبكي بصوت عالٍ ويقول ربي ارجعون.. ربي ارجعون.. ربي ارجعون.. وصوت الملك يكرر حبط عملك.. حبط عملك.. حبط عملك..

أخذ يدعو الله ربي ارجعون.. ربي ارجعون.. لعلي أعمل صالحاً.. سامحني يا الله.. سامحاني يا والداي..

شعر فجأة بصوء خفيض ينير قبره، لكن لا يمكّنه من رؤية ما حوله.. أدرك أنها رحمة الله.. فاستمر في دعائه ربي ارجعون.. ربي ارجعون..

بدأ الضوء يزداد رويداً رويداً حتى أضاء ما حوله.. نظر حوله فإذا به ملفوفٌ في قماش كفنٍ أبيض ويرقد وفوقه مكتبٌ كبير وُضعت فوقه غسالة كي يبدو مثل سقف القبر عندما تصطدم به رأسه.

إذا ببابٍ ينفتح ويقف أمام باب الغرفة أبوه وهو يمسك بيده ميكروفون متصل بسماعة موجودة داخل الغرفة الراقد فيها.

ينظر إليه أبوه متأسيا ويقول: عندما تأكدت من استقرار حالتك طلبت من الطبيب أن يعطي لك منوماً ثم أحضرتك إلى هنا.. وأعطيتك فرصة لتذوق الموت كما ذقت الحياة ولكن هذه المرة كان لديك فرصة الرجوع إلى الحياة..

ولكن إذا شعرت أن هذا الموت حقاً أحب لك من الحياة فاستعجل موتك واقتل نفسك مرة أخرى!

**تمت بحمد الله**

## الفهـرس


بـريق.....7
ماذا تأكل لو كنتَ مكاني! .....11
الطريق .....15
شيء قد كسر .....19
حنين .....25
أنا حرة.....29
فستانٌ جديد .....35
نـوفـا .....39
العبيط .....47
قصة سعيدة .....53
ضمير .....61
مشهد من الذاكرة .....63
عاهة مستديمة .....69
الجَشِـع .....75
انتحار .....81

# رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

نشر كل إنتاج إبداعي بجودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، حتى لا ينزف الوعي من ثقوب الذاكرة، بأعمال تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة، والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.